الاباء المذكورين ونقّبوا في مكاتب المدارس والاديار والكرسي البطريركي على الكتب الخطيّة والمطبوعات وقابلوا ما بينها وجمعوا ما امكنهم جمعهُ ونظموا كتاباً سمّوهُ «مناثر الطقسيات» وعرضوهُ على انظار السيد البطريرك الكلي الطوبى فبعد ان شرّفهُ بنظرهِ السامي وطالعهُ بعض السادة الافاضل والكهنة الاجلاء في الكرسي البطريركي اجاز طبعهُ والعمل بموجبهِ وأمر في منشورهِ الصادر في ١٨ شباط من العام الحاضر بالاعتماد عليهِ. فكفى بهذا تحريضاً لاكليروس الطائفة المارونيّة ليُقبلوا على اقتنائهِ ومطالعتهِ وقد وافق تمثيلهُ للطبع أواخر شهر شباط الذي فيهِ كانت شركة الصلوة توجّه صلواتها لاجل احترام الطقوس البيعيّة والمحافظة عليها فكأنهُ جاء ثمرةً لصلوات المومنين. وقد كان النتاج من طبعهِ في اواسط شهر أيار ليكون بمثابة هدية من المؤلفين لمريم العذراء والدة الحمل الالهي الذي هو غاية كل طقس واحتفال كما انهُ مبدا كل خير وصلاح. فنسأل فادينا الالهي ان يعود هذا الكتاب لتمجيده ومنفعة النفوس وان يجزي كل من تعب فيهِ خير الجزاء. امين

الفتاوى الاركيّة في المعتقدات الدينية

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ اللبناني في وطنهِ كأرز جبالهِ فيكون طيّب الاريحة شديد البنية باسق الفروع صافي الجوهر لا يعتريهِ الفساد حتى بعد توغّله في السنّ. وما ذاك الّا لحسن التربة التي ينشأ فيها ويترعرع في نواحيها ويستنشق هواءها الطيّب فيُضحي عنصرهُ اشبه بعنصرها حتى يرقد رقادهُ الاخير في ظلّ سمائها وقرب الكنيسة التي تولد نفسهُ عند الوفاة لافراح النعيم كما اولدتها بالمعموديّة الدين المستقيم

تلك صورة اللبناني في جبل قدسهِ على انَّ بينهُ وبين ارز لبنانهِ شبهاً آخر وهو ارتياحهُ الى وطنهِ بحيث لا يُحبّ ان يُغرس في غيرهِ من الاوطان فان غُرس فَقَدَ شيئاً من محاسنهِ ومميزاتهِ الجدّيّة. كذلك اللبناني اذا انتقل بالهجرة الى بلاد اجنبيّة قلّما يصون في قلبهِ تلك السجايا الطيبة والخلال الممدوحة التي كان يمتاز بها في وطنهِ. وكفانا

برهاناً على قولنا ما تنقلهُ الجرائد كل يوم عن سوء تصرف كثيرين من المهاجرين في بلاد الغربة والسبب في ذلك واضح فانَّ هؤلاء المساكين يحلُّون بين أمم تخالفهم اصلاً ودياناً ولغةً وعادات فيقصدون التشبُّه بها ويعدلون عن الجوهر ليتمسَّكوا بالاعراض واصطلاحات التمدُّن الخارجة او يتشبَّهون بمن تخدعهم ظواهرهم ويقعون في اشراك ذوي النايات والمطامع فيسقون بعد قليل مثلهم في ارتكاب الجنايات واتيان المحظورات

واذا فسد قلب الانسان اسرع الفساد الى عقله فيعادي الدين لأنهُ يجد في الدين مبكتاً لأعماله الباطلة ورادعاً يردعهُ عن سوء السلوك واذا حاول احد ارباب الصلاح ان يرشدهُ ويعود به الى سواء السبيل قام في وجههِ وصوَّب سهام الملامة الى خدَمة الدين ونسب اليهم كل ضرب من الاثام وان رأى في سلوكهم ما يوازي دقَّة البعوضة كبَّرهُ حتى يبلغهُ جرم الفيل او ضخم الجمل

ومن هؤلاء المتطاولين على الدين من يرقى مجالس الخطابة فيخوض في ميادين الجدال عن الدين وخواصهِ وهو لا يعرف من اصولهِ الَّا ما قرأهُ في بعض كتب الملحدين او صحائف المتشدقين . ويجلس غيرهم « على كرسي موسى » فيُفتون في امور الدين الفتاوى العجيبة التي لم تخطر على بال حُطَم الحكماء وكبار الفلاسفة وائمَّة اللاهوت ولو اردنا جمع هذه الفتاوى الاميركيَّة — ولولا احترامنا لقرَّائنا لدعوناها بالخرطات الاميركيَّة — لأنَّاف عددها على المئين لا يفسح لها ضيق المكان مجالاً لايرادها وها نحن نكتفي ببعض المزاعم التي نشرها افراد من اولئك الكتبة ليقف القرَّاء على عام هؤلاء الاساتذة

عقل الحيوان

فمن ذلك مقالة لجناب « الكاتب العصري » فرح انطون ادرجها في الجامعة تحت هذا العنوان « الحيوان يعقل كالانسان » أتى ببراهين دامغة كاد يحسدهُ عليها درون إمام مذهب التحوُّل الَّا انَّ ذاك الكاتب ألف لتأييد قولهِ كتباً ضخمة ولم يعرض قولهُ الَّا كرأي من الآراء امَّا كاتبنا العصريّ فانَّهُ حكم الحكم البات ولم يدعْ ريباً لمرتاب وذلك في « حقل ونصف » من جريدتهِ الجامعة

وان اردتَ ان تعلم ما هي هذه البينات اللامعة روى لك قصَّة ثلاثة هررة كانت كل هرَّة تكرع الحليب من اناء مرقوم عليهِ عدد من الاعداد الثلاثة الاولى

فاستدلّ من ذلك انّ للهررة معرفة بعلم الحساب. ونحن نشير على جناب الراوي ان يجرّب تلك الهررة بان يجعل في الاناء المرقوم بالعدد ١ خمسة قطع من اللحم ولا يضع الّا قطعة واحدة في الاناء المرقوم بالعدد ٢ وقطعتين في العدد ٣ ويطلق العنان للهررة فلا نشك في انّ الهرّة صاحبة العدد ٢ والهرّة صاحبة العدد ٣ تزهدان وتموتان من الجوع محبةً بعلم الحساب. واملّه يقول ان هجست الهرّتان على الخمسة القطع من اللحم انّهما فعلتا ذلك لمعرفتهما بفضل العدد ٥ على العدد ١ او ٢. فما قول الخواجا فرح انطون بهذا العلم الفائق (اطلب في مجاني الادب ٢ : ٢٠٨ قصّة كهذه تشهد للسنانير بالعلم)

وأتانا بمثل «الحصان العالم» في المانية الذي كان يجيب صاحبهُ عن التاريخ العددي بنقر حافره فجدّد لنا ذكر تلك الخزعبلة التي نقلتها مجلّتا الهلال والمقتطف واثبتنا كذبها في المشرق (٨ : ٢٨٥—٢٨٧) بل اقرّت مجلّة المقتطف بشططها في نقل ذلك الخبر الذي زيّفتهُ لجنةٌ من العلماء في برلين. فتعجّبنا كيف عاد «الكاتب المصري» فرح انطون الى تجديد هذه «الخرطة» العظيمة

وكذلك اورد لنا مثل بعض قرود تأتي اعمالًا يأتيها الانسان فقال عنها «انّها تبتني المنازل وتعيش نوعًا كالمتحضرين» فيا لها من اكتشافات عجيبة تقضي بانّ للحيوان عقلًا كالانسان. وعندنا انّ الانسان دون الحيوان في امور كثيرة كبناء عشوش الطيور واوكار بعض الحيوانات ولو قصد لا يستطيع ان يأتي مثلها فلا بدّ من القول انّ الحيوان اعقل من الانسان. وكان لدى «الكاتب المصري» برهان اقوى من ذلك وهو قريب منهُ نزيد ذلك «القرد امبراطور» الذي زعم الهلال انّهُ كان «يفهم اللغة الانكليزيّة» (اطلب المشرق ٩ : ٤٨٣) فنشير الى الخواجا فرح انطون ان يدرس على ذلك القرد لغة البلاد الاميركيّة وينشر ملخّص دروسهِ عليه

فهذه اخصّ البراهين التي توجب العلماء في عهدنا بان تسجّل على مزعم «الكاتب المصري» فرح انطون بان الحيوان عاقل كالانسان. ونضرب صفحًا عن امثلة اخرى ضربها جنابهُ لبيان قولهِ صونًا لشرفهِ كالذي رواه عن «ذكاء الخنزير» وما اشبه. وان طاب جنابهُ ان نعدل عن الهزل ونكلمهُ بالجدّ فيتّضح لهُ تعليل تلك الاعمال في بعض الحيوانات أحلناهُ الى مقالة حضرة الاب لويس رتزفال في الراهبة والغزيّة (المشرق ٤ :

١١٠٥) فيجد الجواب على سؤاله ولا يعود يخلط « بين شعبان ورمضان » فيميز « بين الالف والمادنة »

الماسونيَّة في اميركا قبل التاريخ

لا يأخذك العجب من هذا العنوان ايها القارئ اللبيب فلستُ انا مخترعه بل نقلهُ احد اللبنانيين عن بعض الاميركيين ودوَّنهُ في جريدة الهُدى في جملة مقالة طويلة فيها عجائب وغرائب اكثر من « جواب الكردي ». فمن بعض مزاعمها ان اميركا قبل اكتشاف كولمبوس كان يسكنها شعب من الاسرائليين او جيرانهم الفينيقيين. ولا شكَّ ان اكتشافاً مثل هذا لو صحَّ الخبر يُعَدّ من اعظم الاكتشافات العصريَّة لكنَّنا بعد التروي تحقَّقنا انَّ هذا ايضاً من جملة الاقاصيص الاميركيَّة التي لم يكترث لها احد من العلماء. واراد المشعوذ ان يأتي بشبه برهان على قوله فأتى بذكر حجارة زعم انها وُجدت في اميركا عليها كتابة عبرانيَّة مضمونها اسم « يهوه » اله العبرانيين مع ذكر بعض صفاته الواردة في التوراة. على انَّ مجرَّد النظر الى رسم تلك الكتابة وصورتها يبيّن جليًّا انَّ الاثر مصنوع حديث العهد لا صحَّة لهُ

ثم اردف هذه « الخرطة » بذكر آثار الماسونيَّة في العالم الجديد قبل التاريخ. وان سألت الى اي سندٍ استند الى اثبات هذا الامر الغريب. اجابك ان الاثريين الاميركيين وجدوا بعض أدوات بنائية منها فأس من الحجر الاسود فزعموا انَّ مصطنعي تلك الآلات كانوا من البنَّائين ولمَّا كانت جماعة البنَّائين هي جمعيَّة الماسون كما يُترجَم اسمهم بالفرنسيَّة استنتجوا من هذا الاكتشاف انَّ اولئك القوم كانوا من جمعيَّة الماسون. أفلا تقنع ايُّها القارئ بهذه الحجَّة القاطعة. فما احراك بأن تُقابَل بتوما القليل الايمان ان لم ترضَ بادلَّة كهذه. وان شئت برهانًا اعظم اتاك به صاحب المقالة بما حرفهُ « انَّ بقرب البحيرات الكبرى في الولايات المتحدة عدَّة علامات ماسونيَّة كالصليب المالطي وغيره فاستنتج علماء الاثار القديمة من كل ذلك انَّ سكَّان اميركا قبل التاريخ كانوا يعرفون الماسونيَّة ويستعملون علاماتها ». وكان يمكن لصاحب المقالة ان يزيد على قوله انَّ الكنيسة لاسيما في الشرق اتخذت منذ اول النصرانيَّة الصليب المالطي (✠) الكنيسة ايضاً هي جمعيَّة ماسونية. فلا جرم انَّ براهين كهذه المع من الشمس في رابعة النهار. اما نحن فعندنا برهان يرقي الماسونيَّة الى جنَّة اوَّل التكوين والى عدن نفسها لانَّ

هناك سُمع لاول مرة شعار الماسونية على لسان الحية : « ان عصيتما امرهُ تعالى بأكل الثمرة لن تموتا بل تصيران كآلهة عارفي الخير من الشر » فهذا الشعار احق بالماسونية من سواه اذ فاه به المارد الكبير رئيس الابالسة ومنشئ الماسونية الاعظم وكان سبق آدم بعصيانهِ صارخاً : « لستُ متعبداً فلا اخضع »

ابليس الصالح

وهذا ايضاً من ثمرات الاوراق الاميركية فانَّ شاباً اسمه حافظ طرزي زيَّن احد اعداد جريدة ابي الهول بمقالة قام فيها محامياً عن ابليس فوصفهُ كشيخ مظلوم لا يعرف البشر فضله وانما يسبُّونهُ ويلعنونهُ زوراً وجهلاً لطاعتهم العمياء لاقوال الاكليرس وانما الاكليرس مسخوا صورة ابليس وصوَّروهُ على خلاف شكلهِ الصحيح واخترعوا وجود الخطيئة الاصلية وزعموا انها تُمحى بالمعمودية وذلك « طمعاً منهم بالرئال المجيدي الذي يتقاضونهُ على كل من يعمدونهُ »

وهذا كلهُ قد اوحاهُ ابليس لحافظ افندي الطرزي الذي هو من اصدق اصحاب شيخ الهوة فظهر لهُ الشيطان على قوله واوحى لهُ بالسرّ المدفون. فما بقي علينا الَّا ان نهنئ حافظاً طرزي على الشرف الذي نالهُ لكنَّنا لا ندعو لهُ بدوام الوداد مع ذلك الصديق الحميم لئلا يرى يوماً ما يُعدّهُ ذلك الشيخ الكريم من الهبات النفيسة في ملكهِ لاصحابهِ ويسمع صوت القائل : اذهبوا ايها الملاعين الى النار الابدية المعدّة لابليس وذويهِ

وقد أتبع كاتبنا الجاهل دفاعهُ عن الشيطان بنبذة كل حرف منها « عالك وتخبيص » فيرانا انَّ شكري افندي الخوري يثبت في جريدتهِ ابي الهول مثل هذه « اللثغات الكفرية » المسودة لوجه التاريخ. ولا يعذرهُ قولهُ في آخرها « انَّ لهُ على هذه المقالة كلاماً » فانَّ خرافات كهذه لا تستحقّ ان تطبع في جرائد « الزعران » تنشرها فكان افضل لهُ وانفع لقرائهِ ان يتابع لهم قصَّة زُعيتر او فنيانوس من هذه « التافيقات »

الدين والعلم

ولكن دعنا وهذه السفاسف فلنوجّه الانظار الى معلّمين آخرين قاما في اسرائيل بين اميركا احدهما ملحم افندي خليل عبده والآخر قيس افندي لبكي فانَّ الاوَّل كتب مهاجري في المهاجر فصلاً تحت عنوان الدين والعلم وتبعهُ الثاني فغنّى على نغمتهِ في جريدتهِ

الحديقة وكلٌّ منهما ادَّعى ان الدين والعلم لا يتَّفقان. ففحصنا اقوالهما وسبرناها بميار الفكر وعرضناها على محكّ الانتقاد لعلَّنا نجد دليلًا صادقًا او شبيهًا باليقين يوجب هذا الحكم ودونك نتيجة بحثنا

نبتدئ بفصل ملحم افندي الذي جمع في ثلثة اعمدة كلامًا طويلًا كلُّهُ طعن في الدين فكرَّر مرارًا ان الدين والعلم لا يتَّفقان والتجأ الى سپنسر ودروين ورينان وكل « قرطة » انكفار ليثبت مدَّعاهُ وزعم انَّ اهل الدين ينسبون الى نفسهم العصمة فيما يقولون امَّا اقوال غيرهم فيردُّونها تيهًا وعجبًا لمجرَّد كونها لا توافق آراءهم

على رسلك يا ملحم افندي فاني اراك اشبه بفارس الاسبانيين المعتوه المسمَّى دون كيشوت الذي لم يفكِّر في غير الحروب حتى انهُ كان اذا رأى شجرًا او ارحية هواء ظنَّها جيشًا كرَّارًا فهجم عليها بسيفهِ ورمحهِ ليظفر بها. فكذلك اراك تحارب الدين حربًا عوانًا حيث لا وجه لانتشاب الحرب وامتشاق الحسام

فايّ علم ناشدتك الله نشأ في عصرنا وقامت الكنيسة او ارباب الدين لمناقضهُ فليس بين المعارف العصرية علمٌ واحد الَّا ولاصحاب الدين فيهِ اثنَّة من العلماء المبرّزين الذين لم يؤخرهم دينهم شيئًا عن مجاراة رصفائهم وعن التوغّل في اسرار الطبيعة واكتشاف كنوزها الخفيَّة. ولا اطلب لاثبات قولي برهانًا بعيدًا فانَّ في العام الماضي توفي ثلاثة من كبار العلماء بلغ كل منهم اوج الفخر في علمهِ فعُدَّ قولهُ حجَّة بين آل عصرهِ احدهم المسيو دي لاپاران (راجع الصفحة ١٤٢) كان امام الجيولوجيين اي علماء طبقات الارض وتبلغ مصنَّفاته المئين فكان اشدّ الناس تمسكًا في دينهِ لا يجد في اكتشافاته ما ينقض اركان الدين بل ما يزيدها مكانةً وثباتًا وكثيرًا ما ردَّ على رصفائهِ وزيَّف مزاعمهم في حقّ الدين . والثاني هنري بكريل الذي توفّق الى اكتشافات عديدة في الاجسام المشعَّة وكان يجلُّ الدين ويمارس كل تعاليمهِ ولم يجد البتَّة في الدين ما يعيقهُ عن درس الطبيعة واستخراج دفائنها المكنونة. والثالث هو الاب اليسوعي لافون الذي اشرنا الى تقدير العلماء لاعمالهِ الخطيرة وثناء مجلس الأمة في لندن على خدمهِ للعلوم الفلكيَّة

ما نقولهُ عن هؤلاء يمكن قولهُ عن الوف غيرهم تُغني اقلامهم كلّ يوم نوادي العلم بما يضعونه من التآليف في كل ضروب المعارف وكثيرون منهم اساقفة وكهنة

ورهبان فان صدق قول ماجم افندي لما امكن هؤلاء ان يتعاطوا العلوم الا بعد ان يجحدوا دينهم لانَّ الدين والعلم لا يتفقان

وان اعتبرت المدارس والكليَّات والجمعيَّات العلميَّة والمطابع ودور الصنائع لرأيت انَّ لاهل الدين فيهـا حظاً اوفر من سواهم . فانَّ اليسوعيين وحدهم مثلاً يديرون في العالم ثمانية عشر مرصداً فلكيًّا تستمدُّ الدول نفسهـا من رصود مديريها . أفيقول ماجم افندي انَّ اليسوعيين لا يتجرَّدون للعلم الا بنبذ الدين ؟

فان عدلت الى العلوم التاريخيَّة او اللغويَّة الجديدة وجدت اهل الدين يكاثرون سواهم في ابحاثهم فهذا الاب شيل الدومنيكي يُعَدُّ كشيخ العلماء في شرح الكتابات الاشوريَّة ومثلهُ الاب اليسوعي ستراسماير . كذلك كثر المؤرخون الكاثوليك الضلعاء باخبار الدول والكنيسة ممَّن ينحني امامهم كل العلماء ويقرُّون بفضلهم كالاب غريزار اليسوعي والاب دنيفل الدومنيكي . اما الاثريُّون فاكثر من ان يُحصوا . وعلى ذلك قس بقيَّة المعارف واللغات الاجنبيَّة فانَّ اهل الدين لم يدعوا صنفاً من العلوم دون ان يتزاحموا في احراز درره ويصنفوا فيـه المصنَّفات الجليلة . فهذا رينان زعيم الملحدين تعلَّم اللغة العبرانيَّة على الكاهن العالم لوهير (Le Hir) وكثيراً ما اطنب في محامده حتى بعد رفعه رجلهُ على الكنيسة التي ربَّتهُ بين طلبتها في سان سولبيس

فقلت اذن شططتَ يا ماجم افندي اذ زعمت انَّ الدين ينافي العلم وغاية ما يؤخذ من مقالتك انَّ اهل الدين لا يسأمون بكل مـا ينسبهُ البعض الى العلم كأي دروين في النشوء والارتقاء . وغير ذلـك ممَّا يذهب اليهِ قوم من العلماء . لكنَّ اهل الدين لا يردون هذه المزاعم باسم الدين فقط بل باسم العلم ايضاً ويوافقهم في تفنيدهم لهذه الاراء علماء خالون عن كل غرض ديني اذ لم يجدوا في تأييدها ادلَّة مقنعة

كذلك شططت بقولـك « ان الدين يحتاج الى ان يطبَّق على روح العصر واكتشافاته العلميَّة » فانَّ الدين مبنيٌّ على تعاليم اوحى بها الله او علَّمها ابنهُ الالهي للبشر يزول السماء والارض قبل ان يزول حرف منها لأنَّها عقائد راهنة ثابتة مصدرهـا الحق الذي لا يمكنهُ ان ينخدع او يخدع احداً فليس للانسان بعد ان يتثبَّت صحَّة الوحي الَّا ان يطأطئ الرأس امام عزَّة الموحي بها

ثم انَّ للدين آداباً شريفة وفرائض منيفة تتناول الانسان في كل اطوار حياتهِ

وفي كل اعمالهِ مع خالقهِ ومع قريبهِ ومع نفسهِ فان قام بهـا المرء اصاب المرمى ونال سعادة الدارين

وعلى الوجهين ليس للدين حاجة الى ان ينطبق على روح الاعصار لأنَّ الدين حياة كل الاعصار وحلية كل الشعوب لا يحتاج الى ان يتحوَّل كل يوم الى صورة جديدة او يلبس زيًّا جديدًا فانهُ مع ثبات مبادئهِ ودوام تعاليمهِ يوافق كل الموافقة احوال البشر في اي زمن واي بلدٍ عاشوا دون اختلاف احوالهم من صغار وكبار وعقلاء وجهَّال ورؤساء ومرؤوسين ومتمدنين ومتبدين فليعمل الكلّ بوصايا الدين يروا قوَّتهُ في توطيد الهيئة الاجتماعيَّة وتوثيق رباطات المجتمع البشري وتمكين اهلهِ من السعادة

امَّا اللام الذي وجَّههُ لمحم افندي الى ارباب الدين وتعييرهُ لهم ببعض اعمالهم السيئة فانهُ خارج عن موضوع كلامهِ . وان سلَّمنا بهِ فذلك لا يدلّ على مناقضة الدين للعلم . على كل حال نقول لهُ قول المسيح عن الكتبة والفريسيين انَّ ارباب الدين جلسوا على كرسيّ موسى فليسمع لاقوالهم ولا يعمل باعمالهم . على اننا عالمون والشكر لله انَّ ارباب الدين اجمالًا ابرار ممَّا يتَّهمون بهِ يطابقون بين تعاليمهم واعمالهم فلا يزالون نور الدنيا وملح العالم وان وُجد بينهم بعض الافراد الذين سهوا عن شرف دعوتهم وحادوا عن طريق الصلاح فما لنا الَّا ان ندعو لهم لينهضوا من ورطتهم ويعودوا الى شرف رتبتهم ونتذكر ان بين تلامذة المسيح نفسهِ وجد رجلٌ شرّير اغضى الرب عن ذنبهِ.

يشوع بن النون ووقوف الشمس بامرهِ

بقي علينا قيس افندي لبكي فانهُ لم يجمع الاقوال الطويلة لبيان مقصودهِ في عدم اتفاق الدين والعلم لكن عمد الى واقع خصوصيّ اخبرهُ الكتاب المقدَّس فاستند اليهِ لاثبات قضيَّتهِ . وقد سرَّنا ان نرى احد الكتبة ينقطع الى درس الكتاب الكريم ويبحث في معانيهِ ويتعقَّب مشكلاتهِ ولكن قد تسرَّع قيس افندي لبكي بحكمهِ على انَّه وجد تناقضًا بين الدين والعلم ولو راجع المفسرين او استفتى العلماء الكاثوليك لأرشدوهُ الى وجه اليقين

امَّا الواقع الذي أغاق على جناب الكاتب شرحهُ فهو خبر يشوع بن نون وتوقيفهُ للشمس فانَّ قيس افندي بعد براحهِ لبنان دخل الكليات الاميركيَّة ودرس العلوم الفلكيَّة ويظهر من مقدَّماتهِ على هذه المقالة انَّهُ برع فيها . والدليل على طول باعهِ انه

يعلمنا بحذق عجيب انَّ للشمس ثلاث حركات حركة يوميَّة اذ تدور على محورها مرَّة في كل ٢٤ ساعة ثم حركة سنويَّة اذ تدور حول الشمس مرَّة في ظرف ٣٦٥ يوماً واخيراً حركة فلكيَّة تشارك فيها نظامنا الشمسيّ

فبعد هذه الشروح انتقل فلكيُّنا العصري الى الحادث الذي روي في سفر يشوع (١٠: ١١—١٥) وقد ذكر هناك كيف استمدَّ يشوع من الله ان تقف الشمس ريثما يتمّ لهُ الظفر من اعدائهِ فوقفت الشمس وسمع الربّ لصوت انسان حيث قاتل الربّ عن اسرائيل. هذا هو الواقع الذي شوَّش عقل قيس افندي وبلبل كل معارفهِ الفلكيَّة التي تعلَّمها في كليات اميركا لاسيما في داخليَّة الارجنتين «حيث اوجدت لهُ الظروف (كما زعم عن نفسهِ) احرفاً عربيَّة فشمر بدعوة تدعوهُ الى الكتابة» فظنَّ انهُ بتعرُّضهِ الدين يكتسب لهُ شهرة وبئس ما عنَّ لفكرهِ

ولو تروَّى جناب الكاتب لأمكنهُ ان يعتبر قبل تسطيرهِ لرأيهِ الكفريّ في تزييف كلام الله انَّ الوفاً وملايين من البشر بينهم كبار العلماء وفطس الفلاسفة وائمَّة الاحبار والملافنة العظام عرفوا ذلك الواقع من قبلهِ ولم يجدوا بتصديقهِ ما وجدهُ قيس افندي من المشاكل فخاف على الارض وخاف على الشمس وخاف على كل نظام الفلك ان يتبلبل بسبب تلك المعجزة فصاح بالويل والثبور ورأى ان الله عزَّ وجلَّ لم يمكنهُ لاجل شعب صغير كالشعب الاسرائيلي ان يصنع آيةً كهذه التي لا تقطع عقل فيلسوف عظيم كقيس افندي لبكي

فماذا نقول والى اين نهرب لننجو من هذه السهام الصائبة والرجوم النارية افليس الأولى انَّ نقرَّ معترفين بجهلنا ونلقي عنَّا تبعة الدفاع عن الكتاب المقدَّس فنجاهر بما فيهِ من الروايات الخرافيَّة غير الصادقة ونعلن على رؤوس الملإ انَّ قيس افندي اكتشف اميركا جديدة وتحقَّق ان الكتاب المقدَّس مجموع خرافات ليس لله فيهِ حظّ البتَّة.

على رسلك يا افندي وان سمحتَ لنا بحثنا معك ملياً في هذه الآية لنعرف آراء اهل الدين في شرحها فلعلَّك تقرّ اذا سمعت اقوالهم بانك حملت الكلام على عواهنهِ

واوَّلاً يسوءنا ان نقول لك ان المعارف الفلكيَّة التي طنطنت بها نقلتها دون تدقيق عن احدى الجرائد الكفريَّة ولو راجعت كتب الهيئة المضبوطة لوجدت اغلاطاً في أقيستك ولعلمت انك لم تبهرنا بعلمك المستعار

ثانياً ان اعتراضك على الكتاب المقدس في امر توقيف الشمس قد عرفهُ من قبلك ارباب الدين واعداؤهم فما كانوا اليك في حاجة للاعلان بهذا المشكل والردّ على شبهته

ثالثاً بل لست انت الواقف على هذا الاعتراض بقراءتك للأسفار الالهيَّة وانما استقيتهُ من الموارد الفولتيريّة فخُدعت بصفائها وليست هي الّا مستنقعات وخمة. قال فولتير قبلك في الكتاب المعنون « التوراة المفسَّرة »: انَّ الطبيعيين لا يدركون معنى قول يشوع للشمس لن تقف والشمس كما هو معلوم ليست بسائرة. ثم لا يفهمون كيف انَّ ذلك اليوم الطويل الذي كان شبه نهارين لم يغيّر حركة السيارات ونظام الكسوفات » هذا ما قالهُ فولتير ورددهُ من بعده صديقنا لبكي ولو اراد الوقوف على جواب العلماء في ذلك لاستطاع ان يستفتي اراكو (Arago) اكبر فلكيي العصر السابق حيث قال في كتابه المدعوّ العلوم الفلكيَّة الشعبيَّة (Astronomie populaire III,23):

« قد ساء ظنّ فولتير بيشوع بن نون حيث نسب اليهِ الجهل بحركة الارض وسكون الشمس فانَّ يشوع اذ امر الشمس ان تقف حمل كلامهُ على مفهوم اهل عصره وتكلّم كما نتكلّم نحن ايضاً اذ نقول طلعت الشمس وغابت وسارت في كبد السماء مع علمنا بان الحركة هي حركة الارض حقيقة ليست حركة الشمس كذلك يشوع لم يوقف حركة الشمس بل حركة الارض »

على انَّ هذا الجواب لا يزيل المشكل بتمامهِ وانما ينفي فقط حركة الشمس حول الارض ولكن هل اوقف يشوع حقيقة ارضنا في دورانها اليوميّ على محورها فانَّ في ايقافها من الخوارق والمعجزات ما يصعب ادراكهُ وما ينشأ عنهُ اضرار جمّة في نظام الطبيعة. ولا شكَّ انهُ كان بقي من ذلك الواقع بعض الاشارات امّا في تاريخ الامم وامّا في الآثار القديمة. وليس لنا دليلٌ على ذلك مطلقاً. فدونك الاجوبة التي تقرّب تصديق هذه الآية وذهب اليها العلماء من اهل الدين

اوّلاً وان سلّمنا بان يشوع بن نون اوقف حقيقة الارض في سيرها وبينما تتمّ لهُ النصرة على اعدائهِ فانَّ الله سبحانهُ وتعالى امكنهُ ايضاً ان يمنع في الوقت ذاتهِ الاضرار الناجمة عن توقيف الارض فانَّ قدرة الله وحكمته لا تنحصران في حدود بشريَّة فيمكنهما ان تتناولا الكون برمّتهِ وتتلافيا ما ينجم في حدوث تغيير نظام الطبيعة من الاضرار. ومن هذا القبيل يبطل زعم الذين ينكرون وقوع هذه العجيبة خوفاً من عواقبها السيئة.

فسكّن بالك يا قيس وأفرغ روّعك فليس على الله شيءٌ عسير وان رأى بعنايته انّ في ايقاف حركة الافلاك نفعاً لمخلوقاته اوقفها لا محالة اذ هو ربُّ الطبيعة يتصرّف بجوهرها تصرُّف السيّد بعبده المطيع فتتمّ ما يشاء وكيفما يشاء.

ثانياً ولعلّ قيساً وامثالهُ لا يقتنعون بهذا الجواب الاوّل ويصرُّون على فكرتهم لما يستلزمهُ ايقاف كرتنا الارضيّة من كثرة العجائب ونحن نعلم ان الله عادةً يتّخذ في عمل آياته الوسائط القريبة. فدونك شرحاً آخر نستمدّهُ من اقوال قوم من الفلكيين. قالوا انّ غاية ما طلبهُ يشوع بن نون في حومة الوغى من الله اسرائيل ان لا يبقى انتصارهُ على اعدائه ناقصاً بغيب الشمس وانسدال ظلمة الليل على الارض فأجاب الله الى سؤله دون ان يغيّر شيئاً في حركة الارض والافلاك وانما عكس في الجوّ اشعّة الشمس بعد مغيبها حتى ان العين كانت لا تزال تنظر نورها في الجوّ مع غيوبها وراء الأفق. اما انعكاس تلك الضياء او تصرُّفه بها فامكنهُ ان يصير على طرائق شتى كبعض الظواهر النوريّة التي تحدث في سمائنا كالشفق الشمالي في بعض البلاد مثلاً

ثالثاً وقد آثر بعض المفسرين للكتاب الكريم رأي القائلين بانّ الله أوجد جرماً منيراً في الجوّ جعلهُ بدلاً من الشمس وأثار بهِ بني اسرائيل ريثما يتعقّبوا اعداءهم المشركين ويستأصلوا شأفتهم. فان رضي قيس افندي بهذا الجواب تخلّص من الارتباكات التي تخوّفها من وقوف الارض والافلاك

رابعاً وقد امعن غيرهم من المفسرين النظر في درس رواية هذا الفصل في سفر يشوع فوجدوا انّ الراوي يذكر في ذلك المكان ان الله رمى اعداء بني اسرائيل بردٍ عظيم الحجم كالحجارة (يشوع ١٠: ١٠) فاستنتجوا من الامر انّ محلّة السوريين كانت تكاثفت عليها السُحب وادلهمّت الظلمات وضُربوا «بحجارة البَرد» حتى صار نهارهم ليلاً دامساً فلمّا تتبّعهم يشوع بن نون خاف ان تلك الدياجير تمنعهُ من ادراك آثارهم فطلب من الله ان تنقشع تلك الدُجون وتعود الشمس الى نورها العادي فاجاب تعالى الى ما طلب منهُ عبدهُ. فعلى قول هؤلاء تقوم الآية باضمحلال تلك الظلمات القاتمة التي كانت سوّدت اديم السماء. فلا بأس ان يلتجئ صاحبنا قيس الى هذا التفسير وتبقى مبادئهُ الفلكيّة سليمةً لا خوف عليها من طوارئ المعجزات

خامساً واخيراً قد وجد بعض المحدثين من كتبة عصرنا وجهاً آخر لشرح آية يشوع

قالوا: انّ راوي معجزة ايقاف الشمس في هذا الفصل لا يتكلّم عن لسانه بل ينقل روايةً شعريّة وردت في سفر يُدعى سفر المستقيم قال (يشوع ١٠: ١٢): « فوقفت الشمس وثبت القمر الى ان انتقم الشعب من اعدائهم . وذلك مكتوب في سفر المستقيم ». ولمّا كان هذا سفر المستقيم كتابًا شعريًا يشتمل على اخبار واغانيّ ومنظومات شتى كان يتداولها العبرانيّون فنقل كاتب سفر يشوع ما وجده في ذلك المجموع تاركًا العهدة على صاحبه الشاعر . ومن المعلوم ان الشعراء اذا رووا خبرًا بالغوا في وصفه وزيّنوه بضروب البديع ونسبوا له المعجزات كما تشتهيها قوّتهم المخيّلة . وخلاصة هذا الجواب الذي ورد آخرًا في مجلّة الدفاع الدينيّ (Revue d'Apologétique) انّ ما روي في هذا الفصل ليس هو كلام صاحب الوحي بل هو منقول على علّاته من كتاب آخر عالميّ شعريّ منقود روى الكاتب كلامهُ دون ان يلتزم بصحّته ولذلك اشار الى المورد الذي استقى منهُ بقوله « وذلك مكتوب في سفر المستقيم ». اما نحن فلا نقطع بصحّة هذا الجواب الّا انّ الكنيسة حتى الآن لم تنفِ صدقهُ فهو من الآراء الراجحة التي يمكن التشبّث بها . فان وجد قيس افندي في حلّ المشكل على هذه الطريقة جوابًا مقنعًا فعليه به فانهُ لا يعود لهُ خرف من تشويش النظام الفلكي فضلًا عن انهُ لا يجد موجبًا للقول بمناقضة الدين للعلم

وفي الختام نتوسّل الى الكتبة الاميركيين ان لا يتعدّوا طورهم في الكتابة عن الدين فانّ الابحاث الدينيّة ليست كأبحاث السياسة وغيرها التي يجوز لاصحابها ان يذهبوا فيها مذاهب ويُخرجوها على مقتضى اهوائهم واغراضهم الشخصيّة ويزيدوا فيها وينقصوا منها كما تقتضي الظروف امّا عقائد الدين وتعاليمهُ فهي وديعة تسلّمها الانسان من ربّه وسيطالب عنها يوم الدين فعليه ان يُضحّي النفس والنفيس في صيانة تلك الوديعة والويل لهُ كل الويل اذا فقد منها شيئًا . وشرف اللبنانيين انما هو امانتهم في حفظ ذلك الكنز الثمين مدّة اجيال متوالية فنشدهم الله ان يتعقّبوا اثار اجدادهم ولا يحيدوا عن امثالهم الصالحة فينالوا ما نالوهُ من الفخر في هذا العالم ومن المجد الاثيل في دار البقاء